قطر الغيث
في شرح مسائل أبي الليث

تأليف

محمد نووي بن عمر بن عربي الشافعي الجاوي

شرح على
مسائل أبي الليث

للإمام نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي

الملقب

بإمام الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان، وخص بعضَ عبادِه بالطاعات وبعضَهم بالعصيان، والصلاة والسلام على أفضل الرسل سيدِ ولدِ آدم، سيدِنا محمدٍ وآله وأصحابِه وأزواجِه وذريَّتِه عدد ما جرى به القلم.

(**أما بعد**): فيقول مرتكب الذنوب "محمد نووي بن عمر بن عربي" الشافعي: هذا شرحٌ عن مسائل الشيخ الإمام أبي الليث المحدث المفسر المعروف بإمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحنفي السمرقندي، يوضح معانيَها ويُشيد مبانيَها. وسميته:

قطرُ الغيثِ في شرحِ مسائلِ أبي الليثِ

واللهَ أسألُ أنْ ينفعَ به كلَّ من تلقاه بقلبٍ سليمٍ، وأنْ يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم، إنه الرؤوف الرحيم.

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) فاسم "**الجلالة**" ليس بمشتقٍ ولا منقولٍ، و"**ال**" فيه زائدة لازمة للتعريف، بل وُضع كذلك، وهو اسمٌ جامعٌ لجميعِ أسماءِ اللهِ الحسنى وصفاتهِ العُلْيَا. و"**الرحمن**": كثيرُ الرحمةِ بالنعمِ العظيمةِ. و"**الرحيم**": كثير الرحمة بالنعم الصغيرة. وتخصيص التسمية بهذه الأسماء، ليعلمَ العارفُ أنَّ المستحقَ بأن يُستعان به في جميع الأمور هو المعبودُ الحقيقيُّ معطي النعمِ كلِّها جليلِها وحقيرِها. وإنما افتتح المصنفُ كتابَه هذا بالبسملة اقتداءً بالكتب السماوية، وعملاً بالأحاديث المروية، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**إذا كتب العبد بسم الله الرحمن الرحيم**

في لوح أو في كتاب فإنه تكتب له الملائكة الأجر، وتستغفر له ما دام ذلك الاسم في اللوح أو الكتاب)).

(**الحمد لله رب العالمين**) أي: مالك جميع المخلوقات، (**والعاقبة**) أي: الأجر المحمود، (**للمتقين**) أي: عقاب الله تعالى بترك المعاصي، (**والصلاة**) أي: زيادة الرحمة من الله تعالى المقرونة بالتعظيم، (**والسلام**) أي: التحية من الله تعالى، (**على سيدنا محمد**)، هو ابن عبد الله، أكمل الخلق خَلقاً وخُلقاً، مبعوث في مكة ومدفون في المدينة المشرفة، (**وآله**) أي: أعوانه من أهل الإيمان، (**وأصحابه**)، وهم الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم في حياته بعد نبوته مؤمنين به. والصحابة الذين توفى رسول صلى الله عليه وسلم وهم أحياء مائة ألف صحابي وأربعة وعشرون ألفاً، رضي الله عنهم أجمعين، كعدد الأنبياء وعدد أولياء كل عصر.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك**): يا مؤمن: (**ما الإيمانُ؟**)، أي: ما متعلَّقاتُ حقيقةِ الإيمانِ الذي هو التصديقُ؟.

(**فالجواب**): أن تقول: (**آمنت**)، أي: صدقت وأقررت (**بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدَر**) بفتح الدال (**خيره وشره من الله تعالى**) وهذا كما رواه مسلم عن سيدنا عمر من حديث جبريل، وإنْ أُخذت من رواية البخاري عن أبي هريرة من حديث جبريل أيضاً، فتقول: "**آمنت بالله وملائكته وبلقائه ورسله وبالبعث**". والمعنى: صدقت بوجود الله وبصفاته الواجبة له، وبوجود الملائكة، وأنهم عباد مكرمون، وبرؤيته تعالى في

الآخرة للمؤمن، وبأنَّ رسلَه صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، وبالبعث من القبور.

قال بعضُهم: مَنْ تعلَّم في الصِغر: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقدره خيره وشره من الله تعالى، وعَلِمَ أنَّ ذلك إيمانٌ إلا أنه لا يُحسن تفسيرَه، فلا يُحكم بإيمانه. **وقال بعضُهم**: إيمانُ شخصٍ حالَ يأسٍ، أي: وقت سكرات الموت عند رؤية مكانه في الجنة أو في النار غيرُ مقبولٍ لعدم الإتيان بالمأمور به عن اختيار، فإنَّ العبدَ يرى مكانه في ذلك الوقت كما رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**إن العبد لن يموت حتى يرى موضعه في الجنة أو في النار**)) بخلاف توبة اليائس، فإنها مقبولة بعد صحة إيمانه لما روي عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**تقبل توبة العبد المؤمن ما لم يغرغر**)) أي: ما لم تبلغ روحُه الحلقومَ.

واعلم أن الإيمان بالله على ثلاثة أقسام: إيمان تقليدي، وإيمان تحقيقي، وإيمان استدلالي: **فالتقليديُّ**: هو أنْ يعتقدَ بوحدانية الله تعالى تقليداً بقول العلماء من غير برهان، وهذا لا يأمن من التزلزل بتشكيك مشككٍ. **والحقيقيُّ**: هو أنْ يطويَ قلبَه على وحدانية الله تعالى، بحيث لو خالفه أهل العلم فيما طوى عليه قلبَه لما وُجِدَ في قلبه زلةٌ. **والاستدلاليُّ**: هو أنْ يستدلَ من المصنوع على الصانع، ومن الأثر على المؤثر، فالأثر يدل على المؤثر، والبناء يدل على الباني، والمصنوع يدل على الصانع، والبعرة تدل على البعير مثلاً، إذ الأثر بلا مؤثر محال.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك وكيف تؤمن بالله؟**).

(**فالجواب**) أن تقول: (**إنّ اللهَ تعالى**) أحد، أي: منفرد بالصفات لا مشارك له، (**واحدٌ**)، أي: منفرد بالذات لا شريك له، (**حيٌّ**) بحياة قديمة قائمة بالذات، لا بروح، (**عالمٌ**) بعلمٍ قديمٍ قائمٍ بالذات محيطٍ بالواجب والجائز والمستحيل، (**قادرٌ**) بقدرة قديمة قائمة بالذات، لا بمعالجة ولا واسطة، لا يلحقها عجز، عامة التعلق للمكنات، (**مريدٌ**) بإرادة قديمة قائمة بالذات، عامة التعلق للمكنات، (**سميعٌ**) أي: مدرك المسموعات بسمع قديم بالذات، (**بصيرٌ**) أي: مدرك المبصرات حال وجودها ببصر قديم قائم بالذات، (**متكلمٌ**) بكلام قديم باق قائم بالذات، ليس بحرف ولا صوت، فلا يسبَقه عدمٌ ولا يلحقَه عدمٌ، متعلِّقٌ: بالواجب: كقوله تعالى: {**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**}، وبالمستحيل: كقوله تعالى: {**إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**}، وبالجائز: كقوله تعالى: {**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**}. والصحيحُ أنَّ مدلولَ الألفاظِ التي نقرؤها متعلَّقاتُ الكلامِ النفسيِّ القَدِيم، كما قاله ابن قاسم، واتفق على ذلك جميعُ المتأخرين. وإن سُئلت عن القرآن: هل هو قديم أو حادث؟ فينبغي لك أنْ تستفسرَ السائلَ، فإن قال لك مُرادي: "**القائم بذاته تعالى**" الدالُّ عليه ما بينَنَا، فقل: هو قديم بقدم الذات، لأنه من جملة صفاتها الواجبة لها. وإنْ قال لك مرادي: "**ما بين الدفتين من النقوش**"، فقل له: ذلك حادث بحدوث النقوش وكذلك الألفاظ. وإن قال لك مرادي: "**من حيث المدلول**"، فقل له: إن ما دل على ذاته أو صفة من صفاته أو حكاية له تعالى هو قديم، وما دل على الحوادث أو صفاتها، مثل ذوات المخلوقات أو صفاتها، كجهلنا وعلمنا هو حادث، وكذلك حكايات الحوادث. وسُميت تلك العباراتُ بكلام الله، فإنها دالةٌ على كلام الله تعالى، فإن معناه إنما ينفهم بها، فإنْ عبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر عنه بالعبرية

– وهو لغة اليهود – فهو توراة، وإن عبر عنه بالسريانية فهو إنجيل وزبور. واختلاف العبارات لا تستلزم اختلاف الكلام، كما أنَّ الله يُسمَّى بعباراتٍ مختلفةٍ مَعَ أن ذاتَه تعالى واحدةٌ. (**باق**) بذاته العليا، أي: دائم الوجود لا يقبل الفناء، (**خلاَّق**)، أي: كثير إظهار الموجودات بقدرته، وكثير تقدير كل واحد بمقدار معين بإرادته، (**رزَّاق**)، أي: خالق الأرزاق أو المرتزقة وموصلها إليهم. واسم "**الرزق**" لا يختص بالمأكول والمشروب، بل كل ما انتفع به الحيوانُ من مأكولٍ ومشروبٍ وملبوسٍ وغيرِها. ومن أعظم الرزق التوفيق للطاعات. والرزق قسمان: **ظاهر**: وهو الأقوات والأطعمة وذلك للأبدان. **وباطن**: وهي المعارف والمكاشفات، وذلك للقلوب والأسرار.

واعلم أنه تعالى يوصل الرزقَ إلى جميع مخلوقاته، وأنَّ من أسباب سعة الرزق كثرة الصلاة، لقوله تعالى: **{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}**، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار، (**ربٌّ**)، ومعناه: معبودٌ، ومنه قولك: ربنا الله، (**ومالك**)، ومنه قوله تعالى: **{لله ملك السموات والأرض}**، (**بلا شريك**) أي: شبيه له ، أي: في الربوبية، ولا ضد أي: لا نظير (**ولا ند**) أي: مماثل. والفرق بين: "**الشبيه**" و"**النظير**" **و**"**المماثل**": أن "**النظير**": ما يساوي ولو في وجه. و"**الشبيه**": ما يساوي أكثر الوجوه. و"**المماثل**": ما يساوي في جميع الوجوه. قال البراوي: ولا يجوز البحث عن ذات الله تعالى ولا عن صفاته، لأن ترك الإدراك إدراك والبحث في ذات الله تعالى إشراك، وكل ما خطر ببالك من صفات الحوادث فالله بخلاف ذلك.

(**فائدة**): من ترك أربع كلمات كمُلَ إيمانُه: أين، وكيف، ومتى، وكم: فإنْ قال لك قائل: أين الله؟، فجوابه: ليس في مكان ولا يمر عليه زمان. وإنْ قال لك: كيف الله؟، فقل له: ليس كمثله شيء. وإنْ قال لك: متى الله؟، فقل: له أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء. وإنْ قال لك: كم الله؟، فقل له: واحد لا من قلة، قل: الله أحد. انتهى.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالملائكة؟**).

(**فالجواب**) أن تقول: (**إن الملائكة أصناف**) أي: أنواع كثيرة في أحوالهم وأفعالهم وأشكالهم: (**فمنهم حَمَلةُ العرشِ**): وهم أعلى طبقات الملائكة، وأولهم وجوداً، وهم في الدنيا أربعة، وفي يوم القيامة ثمانية على صورة الأوعال، ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً للطائر المسرع. وأما صفة العرش: فقيل: إنه جوهرة خضراء، وهو من أعظم المخلوقات خلقاً، ويُكسى كلَّ يوم ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة. وقيل: إن العرش قبلة أهل السماء، كما أن الكعبة قبلة أهل الأرض.

(**ومنهم حافون**)، قال: وهب بن مُنَبِّه: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف خلف صف، يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضاً هلل هؤلاء وكبر هؤلاء، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك ما أعظمك وأحلمك، أنت الله لا إله غيرك، أنت الأكبر والخلق كلهم لك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على

اليسرى، ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثمانمائة عام، وما بين شحمتي أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة عام، واحتجب الله عن الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نور، وسبعين حجاباً من ظلمة، وسبعين حجاباً من در أبيض، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من ثلج، وسبعين حجاباً من ماء و سبعين من برد، وما لا يعلمه إلا الله.

(**ومنهم روحانيون**)، قيل: هم في أرض بيضاء كالرخام، عرضها مسيرة الشمس أربعين يوماً، طولها لا يعلمه إلا الله، ولهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كُشف عن صوت أحدهم لهلك أهلُ الأرض من هول صوته، منتهاهم إلى حملة العرش.

(**ومنهم كَروبيون**) بفتح الكاف وتخفيف الراء، هم سادات الملائكة، وهم الذين حول العرش.

(**ومنهم سفرة**) أي: وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين يبلغون إليهم رسالته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه. و"**السفرة**" هنا جمع سفير بمعنى: رسول، وليس جمع سافر بمعنى: كاتب؛ لأن المصنف فسرها بهؤلاء الأربعة (**أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعَزرائيل**) بفتح العين، فجبريل نازلٌ على جميع الأنبياء، وميكائيل وكيل الأمطار، وإسرافيل وكيل نفخ الصور ينفخ فيموت الخلق، وينفخ لإحياء الخلق فترجع الأرواح لأجسادها، وعَزرائيل وكيل قبض الأرواح، فإذا حضر أجلُ العبدِ أمر اللهُ تعالى ملَك الموتِ أنْ يقبضَ روحَ ذلك العبد، ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده، فإذا وصلت إلى

الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه، وخروج الروح يكون من "**اليافوخ**"، كما أن دخولها في البدن منه، وأما فتح المحتضر فمه عند خروجها فقيل: لشدة ما يراه من الأهوال. و"**اليافوخ**" هو الموضع الذي يتحرك في رأس الطفل.

(**ومنهم حَفَظة**)، قال محمد الخليلي: روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: كم من ملك على الإنسان؟ فقال: عشرون ملكاً، منهم ملك عن يمينك على حسناتك، وهو أمين على الذي عن يسارك، فإذا عملت حسنة كتبت عشراً وإذا عملت سيئة، قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أأكتب؟ فيقول: دعه سبع ساعات لعله يتوب، فإذا لم يتب قال: نعم، اكتب أراحنا الله منه. فاسم الملك الذي علىاليمين "**رقيب**" وهو الذي يكتب الحسنات، واسم الملك الذي على الشمال "**عتيد**" وهو الذي يكتب السيئات، وملكان بين يديك ومن خلفك، وملك قابض على ناصيتك إذا تواضعت لله تعالى رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وملك على فيك لا يدع الحية أو الهوام تدخل في فيك، وملكان على عينيك، ويقال: إن اسمهما "**شوية**"، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي، فتنزل ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء وهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي.

(**ومنهم كَتَبَةٌ**)، وهم الذين ينسخون من اللوح المحفوظ، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، ومنهم أصحاب أجنحة، جناحين جناحين لكل واحد

منهم، وثلاثة ثلاثة لصنف آخر منهم، وأربعة أربعة لصنف آخر منهم، ويزيد الله في خلق الأجنحة في غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته.

(**تنبيه**): قوله: "**حَمَلَةٌ وسَفَرَةٌ وحَفَظَةٌ وكَتَبَةٌ**" بفتح أحرفها الثلاثة، وهي جمعُ حاملٍ وسفيرٍ وحافظٍ وكاتبٍ.

(**وكلهم مخلوقون**) أي: موجودون بإيجاد الله إياهم كغيرهم، (**عبيدٌ للهِ**)، فلا يقولون شيئاً حتى يقوله كما هو شأن العبيد المؤدبين، (**لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة**)، فمن اعتقد أنوثة الملائكة أو خنوثتهم فهو كافر بالاتفاق، ومن اعتقد ذكورتهم فهو فاسق، (**وليس لهم شهوةٌ**) أي: اشتياق النفس، (**ولا نفسٌ**).

فالنفس سبع مراتب: أمَّارةٌ: ومحلها الصدر، وجنودها: البخل، والحرص، والحسد، والجهل، والكبر، والشهوة، والغضب. ثم **لَوَّامة:** ومحلها القلب، وهو تحت الثدي الأيسر بقدر أصبعين، وجنودها: اللوم، والهوى، والمكر، والعجب، والغيبة، والرياء، والظلم، والكذب، والغفلة. ثم **ملهمة:** ومحلها الروح، وهو تحت الثدي الأيمن بقدر أصبعين، وجنودها: السخاوة، والقناعة، والحلم، والتواضع، والتوبة، والصبر، والتحمل. ثم **مطمئنة:** ومحلها: السر، وهو في جانب الثدي الأيسر بقدر أصبعين إلى جهة الصدر، وجنودها: الجود، والتوكل، والعبادة، والشكر، والرضا، والخشية. ثم **راضية:** ومحلها: سر السر، ولعل المراد بها القالَب _ بالألف بعد القاف وبفتح اللام، وهو جميع الجسد، وجنودها: الكرم، والزهد، والإخلاص، والورع، والرياضة، والوفاء. ثم **مرضية:** ومحلها الخفي: وهو في جانب الثدي الأيمن بقدر أصبعين إلى أوسط الصدر، وجنودها: حسن الخلق، وترك ما سوى الله، واللطف بالخلق، وحملهم على الصلاح والصفح عن ذنوبهم وحبهم، والميل إليهم

لإخراجهم من ظلمات طبائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم. ثم **كاملة:** ومحلها الأخفى: وهو وسط الصدر، وجنودها: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

(**ولا أب ولا أم**)، فإنهم أجسام نورانية، أي: مخلوقة من نور غالباً، وقد يكون بعضهم مخلوقاً من القطرات التي تقطر من جبريل بعد اغتساله من نهر تحت العرش، وهم قادرون على التشكل بأشكال مختلفة. (**ولا يشربون ولا يأكلون**) ولا ينامون، ودليل كونهم لا ينامون قوله تعالى: **{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}**، فالنوم فتور يعتري الإنسان ولا يفقد معه عقله، (**ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**)، **قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** أي: من الطاعة والتدبير، وقال تعالى: **{بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}** أي: بل الملائكة عباد من عباده تعالى مكرمون بالعصمة من الزلل لا يسبقون إذنه تعالى بالقول، وهم بأمره تعالى إذا أمرهم يعملون، لأنهم في غاية المراقبة له تعالى، فجمعوا في الطاعة بين القول والفعل وذلك غاية الطاعة. (**ومحبتهم**) بالقلب (**شرط**) صحة (**الإيمان، وبغضهم: كفر**) لقوله تعالى: **{كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ}**.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالكتب؟**)

(**فالجواب**) أن تقول: (**إن الله أنزل الكتب على أنبيائه، وهي**) أي: الكتب (**منزلة**) على الرسل في الألواح، أو على لسان ملك (**غير مخلوقة**) أي: إن الكتب المنزلة من تأليفه تعالى لا من تأليف الخلق، (**قديمة**) من حيث دلالتها على المعنى القديم، (**بغير تناقضٍ**) أي: اختلاف في معنى

الكلام. و"**التناقض**": بأن يكون بعضُ الكلام في محل يقتضي إبطالَ بعضٍ في محل آخر، قال تعالى: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**} أي: أفلا يتفكرون في القرآن؟ ولو كان من كلام البشر لوجدوا فيه "تناقضاً" في معانيه وتبايناً في نظمه بأن يكون بعضُ أخبارِه غيرَ مطابقٍ للواقع وبعضُ نظمِه فصيحاً وبعضُه ركيكاً، أي: ولو كان من عند غير الله للزم أن يكون فيه اختلافٌ كثيرٌ فضلاً عن القليل، لكنه من عند الله، فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل. (**ومن شك فيها**) أي: في الكتب المنزلة على الرسل بأن لم يؤمن بشيء منها، (**من آية أو كلمة فقد كفر**).

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: وكم كتاباً أنزل على أنبيائه؟**) أي: المرسلين، فـ "**كم**" اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم، و"**كتاباً**" تمييز.

(**فالجواب**) أن تقول: في رواية: (**مائة كتاب**) بالإفراد (**وأربعة كتب**) بالجمع المكسَّر: (**أنزل الله منها**)، أي: من المائة والأربع (**عشر كتب على**) صفي الله أبي البشر (**آدم عليه السلام، وأنزل الله تعالى منها خمسين كتاباً على شيث عليه السلام**)، فشيث – بالشين ثم المثلثة – وقيل: بالمثناة الفوقية بينهما ياء، والأكثر صرفه وقد لا يصرف، ومعناه: هبة الله، وقيل: عطية الله، وهو ابن آدم لصلبه، كان من أجمل أولاده وأفضلهم، وأشبهه بأبيه وأحبهم إليه، وعاش سبعمائة واثنتي عشرة سنة. (**وأنزل الله تعالى منها ثلاثين كتاباً على إدريس**) جدّ أبي نوح (**عليه السلام**)، واسمه **أَخْنُوْخ** – بفتح الهمزة وسكون الخاء، أو **خَنوخ** – بفتح الخاء مع حذف الهمزة –، قيل: سمي إدريس لكثرة درسه الكتب، وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، وأول من خاط الثيابَ ولبسها، وكانوا من قبله

يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار. (**وأنزل الله تعالى منها عشر كتب على إبراهيم عليه السلام**)، وقيل: إن في صحف إبراهيم هذه الكلمات: ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه، عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه. (**وأنزل الله تعالى الإنجيل**) جملة (**على عيسى**) ابن مريم (**عليه السلام، وأنزل الله تعالى التوراة**) جملة (**على موسى**) بن عمران (**عليه السلام**). **قال بعضُهم**: التوراة والإنجيل اسمان عبرانيان، وقيل: سريانيان كالزبور. وقيل: سميت التوراة بذلك لأن فيها نوراً يخرج به من الضلال إلى الهدى، كما يخرج بالنار من الظلام إلى النور، وقيل: سميت بذلك لأن أكثرها تلويحات ومعاريض. **وقال بعضهم**: سمي الإنجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة، إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة في التوراة، وقيل: سمي بذلك لاستخراجه خلاصة نور التوراة. (**وأنزل الله تعالى الزبور على داود**) بن إيشا (**عليه السلام**)، وهو من أتباع موسى وبعده بأزمان متطاولة. (**وأنزل الله تعالى القرآن**) منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، بعد أن كتب في صحف، وأنزل دفعة واحدة في ليلة القدر في بيت العزة، وهو محل في سماء الدنيا، وسمي القرآن فرقاناً لفرقه بين الحق والباطل، ولكونه منجماً ومفرقاً في سنين كثيرة، وسمي قرآناً لأنه قام مقام التوراة والإنجيل والزبور في كثرة القراءة، (**على محمد المصطفى**) أي: المختار صلى الله عليه وسلم. وهو: ابنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشم بنِ عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من أولاد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. وذلك ما رُوي عن أبيّ بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ فقال: ((**مائة**

وأربعة كتب، منها: على آدم عشر صحف. وعلى شيث خمسون صحيفة. وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة. وعلى إبراهيم عشر صحائف. والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان))، كما ذكره الشربيني في تفسيره. والحق عدم حصر الكتب في عدد معين لكثرة اختلاف الروايات، بل الواجب أن يعتقد أن الله تعالى أنزل كتباً من السماء ويعرف الكتب الأربعة.

(مسألة): **(إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالأنبياء؟)**

(فالجواب) أن تقول: **(إنَّ أولَ الأنبياءِ آدم عليه السلام)** وهو اسمه الشريف، وكنيته أبو البشر، ولقبه صفيّ الله **(وآخرهم)** وأفضلهم **(سيدنا محمد)** فلا نبي بعده **(صلوات الله عليهم أجمعين، كلهم كانوا مخبرين)** عن الغيوب، كالساعة وأحوالها من البعث والنشر والحشر والحساب والجزاء والحوض والشفاعة والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك **(ناصحين)** أي: مصفِّين العمل من شوائب الفساد، ولا يغشون قومَهم **(صادقين)** في أخبارهم وفي دعواهم **(مبلغين)** أي: موصلين الأحكامَ التي أمروا بتبليغها إلى الأمم إليهم، إذ هم مأمورون بالتبليغ **(آمرين)** على الطاعات لله عز وجل **(ناهين)** عن المعاصي **(أمناء الله تعالى)** على **"وحيه الخفي"**، وهو الذي لم يظهر إلا على ألسنة الرسل، وهو إعلام الله تعالى أنبياءه بما شاء **"بكتاب"** أو بإرسال **"ملك"** أو **"بمنام"** أو **"إلهام"** أو **"بلا واسطة"**، كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من فرض الصلاة بلا واسطة **(معصومين من الزلل)** أي: الخطايا وهي الصغائر، **"فالزِلل"** – بكسر الزاي – جمع زِلة. قاله محمد الجوهري في **"شرح الجزائرية"** وأما **"الزَلل"** – بفتحها – فهو مصدر زل يزل من باب علم وضرب، كما في **"القاموس"** و**"المصباح"**،

(**والكبائر**) أي أن الله تعالى حفظ بواطنهم وظواهرهم عن التلبس بمنهى عنه، ولو نهي كراهة ولو حالة الطفولية، كما قال أحمد الدردير. والذي عليه الجمهور، وهو الصحيح أنهم معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها، فعصمتهم واجبة كما قاله أحمد البيلي. (**ومحبتهم**) بالقلب (**شرطُ**) صحةِ (**الإيمانِ، وبغضُهم كفرٌ**).

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: وكم من أصحاب الشرائع؟**)

(**فالجواب**) أن تقول: هم (**ستة: آدم ونوح**) وعمره ألف سنة وأربعمائة وخمسون سنة (**وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين**).

(**فرع**): قال ابن عباس وقتادة: وأولو العزم، أي: الثبات والجد في الأمور، خمسةٌ، وهم أصحاب الشرائع، وهم محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح، ونظمهم بعضُهم في بيت من الطويل فقال:

محمد إبراهيم موسى كليمه   وعيسى ونوح هم أولو العزم فاعلم

وقال مقاتل: **وأولو العزم ستة: نوح**: صبر على أذى قومه. **وإبراهيم**: صبر على النار. **وإسحاق**: صبر على الذبح. **ويعقوب**: صبر على فقد ولده وذهاب بصره. **ويوسف**: صبر في الجب والسجن. **وأيوب**: صبر على الضر. (**وكلُّ شريعةٍ منسوخةٌ**) أي: مُزالٌ حكمُها (**بشريعةِ**) سيدِنا (**محمدٍ صلى الله عليه وسلم**) إذا لم تكن موافقةً لشريعته صلى الله عليه وسلم، فقد كان من شريعة آدم – عليه السلام – تزويج الأخ من أخته التي ليست توأمته،

وقد اتفقوا على تحريمه بعد آدم – عليه السلام – كما قاله محمد الجوهري، والدليل على ذلك قوله تعالى: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}**.

(**مسألة**):(**إذا قيل لك: وكم من الأنبياء؟**).

(**فالجواب**): أن تقول هم في رواية (**مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي**). قال أحمد الدردير: "والأولى تركُ حصرِهم في عدد معين لأنه لا يؤمن في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم لجواز أن يذكر أكثر من الواقع، أو يخرج منهم من هو منهم إن كان العدد أقل". وما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن عددهم فقال: ((**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً**))، وفي رواية: ((**مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً**)) فخبر آحاد لا يفيد القطع، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات.

(**مسألة**):(**إذا قيل لك: وكم كانوا من الأنبياء والمرسلين؟**).

(**فالجواب**) أن تقول: هم في رواية: (**ثلثمائة وثلاثة عشر مرسلاً**) كعدد أهل بدر، وفي رواية: وأربعة عشر، كعدد جيش طالوت الذين صبروا معه على قتال جيش جالوت، وفي رواية: وخمسة عشر، وروي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس. والفرق بين "**الرسول**" و"**النبي**": أن "**الرسول**": هو من أمر بتبليغ الأحكام إلى المرسل إليهم، و"**النبي**": من لم يؤمر بذلك، بل أمر بتبليغ أنه نبيّ ليحترم.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: وأسماؤهم**) أي: المرسلين (**وعددهم**) أي: حفظهم علينا (**شرط الإيمان أم لا؟**).

(**فالجواب**) أن تقول: (**ليس**) **ذلك المذكور من حفظ الأسماء، والعدد** (**عندنا بشرط الإيمان**) أي: في صحته وكماله (**لقوله تعالى**) في سورة غافر: {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا**} أي: بكثرة {**مِنْ قَبْلِكَ**} يا أشرف الخلق إلى أممهم ليبلغوا عنا ما أمرناهم به (**منهم**) أي: الرسل (**من قصصنا عليك**) أي: أخبارهم (**ومنهم من لم نقصص عليك**) أي: لا أخبارهم ولا ذكرناهم لك بأسمائهم، وإنْ كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة، وإذا ثبت أن الرسُل لم يجب علينا معرفة عددهم مع قلتهم فمعرفة غير الرسل من الأنبياء أولى لكثرتها، ولكن يجب الإيمان بوجودهم تفصيلاً فيما علم كذلك، وهم الخمسة والعشرون الذين هم في القرآن وهم: محمد وآدم ونوح وإدريس وهود وصالح واليسع وذو الكفل وإلياس ويونس وأيوب وإبراهيم، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، ولوط وداود وسليمان وشعيب، وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

ومعنى وجوب الإيمان بهؤلاء بالتفصيل أنه لو عُرِضَ عليه واحدٌ منهم لم يُنْكِرْ نبوّتَه ولا رسالتَه، ولو لم يحفظ أسماءهم فإن الحفظ لا يجب فمن أنكر نبوة واحد من هؤلاء أو رسالته فقد كفر، لكن العامي لا يحكم عليه بالكفر، إلا إن أنكر بعد تعلمه. ويجب الإيمان إجمالاً في غير هؤلاء بأن يصدق بوجودهم ونبوّتهم وإرسالهم ويصدّق بأن لله رسلاً وأنبياء، فمن لم يؤمن بهم كذلك لم يصح إيمانه فيكون كافراً. والمختلف في نبوتهم ثلاثة: ذو القرنين والعزير ولقمان، واختُلف في الخضر أيضاً، فقيل: إنه نبي ورسول. وقيل: نبي

فقط. وقيل: وليّ وهو باق إلى الآن أعطي علم الشريعة والحقيقة، ويجتمع مع إلياس كل سنة بمكة، ويشربان من ماء زمزم شربة إلى العام القابل، وطعامها الكرفس، فإلياس موكل بالبرِّ، والخضر موكل بالبحر، كذا قاله عيسى البراوي وأحمد البيلي والشيخ يوسف السنبلاويني.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: وكيف تؤمن باليوم الآخر؟**) أي: بوجوده، فأوّله من النفخة الثانية وهي نفخة البعث، وسُمي ذلك اليومُ بالآخر لأنه آخرُ أيام الدنيا، وسُمي أيضاً بالقيامة لقيام الناس فيه من قبورِهم ووقوفِهم بين يدي رب العالمين.

(**فالجواب**) أن تقول: (**إنَّ اللهَ تعالى يُميت الخلائق**) أي: جميعَ الحيواناتِ من ذوي الروحِ (**كلِّهم**) **قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}** و"**الموت**": لا يكون إلاَّ بالأجل، وهو الوقتُ الذي كتب اللهُ في الأزل انتهاءَ حياتِه فيه، فلا يَموت أحدٌ بدونه، مقتولاً كان أو غيرَه لقوله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً}** أي: وما كان لنفس أنْ تَموت إلا بقضاءِ اللهِ ومشيئتِه أو بإذنِه لملَكِ الموتِ في قبضِه روحَه، كتب اللهُ ذلك الموتَ كتاباً مؤقتاً لا يتقدمُ ولا يتأخرُ (**إلاَّ مَنْ كان في الجنة والنار**) ثم يُحْيي اللهُ الميتَ بإعادة الروح إلى جميع البدن لأجل سؤال الملكين: منكر ونكير، وبعد السؤال يُخرِجُ منه الروحَ ويُعذبُ من أراد تعذيبَه بأنْ يخلق اللهُ في الميت نوعَ حياةٍ بسبب اتصال الروحِ بجسده، كاتصال شعاع الشمس بالأرض بقدر ما يُدْرِكُ الألمَ، فيتألم الروحُ مع الجسدِ، وإنْ كان خارجاً منه. و"**الكافرُ**" عذابُه دائمٌ إلى يوم القيامة، ويُرفع عن "**المؤمنِ**" العذابُ في يوم الجمعة وفي شهر رمضان لحرمة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنْ مات يومَ

الجمعةِ أو ليلتَه يكون العذابُ ساعةً واحدةً، وضغطةُ القبرِ كذلك، ثم ينقطع ولا يعود إلى يوم القيامة. (**ويُحييهم اللهُ تعالى**) بعد فنائهم بإعادة أرواحهم إلى أجسادهم، قال تعالى: **{يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى}** ويكون الإحياء بنفخة البعث بعد إماتتهم بنفخة الصعق، وبين النفختين أربعون سنة، قال تعالى: **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}**. (و) بعد إحيائهم يسوقهم حفاةً عراةً غرلاً إلى أرض المحشر أرض بيضاء لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، و (**يحشرهم**) أي: يجمعهم للعرض والحساب، قال تعالى: **{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ}**، (**ويحاسبُهم**) **قال الله تعالى: {وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}**، فمنهم من يُحاسب حساباً شديداً على رؤوس الأشهاد لفضيحته، وهو من يُعطى في ذلك اليوم كتابَ عملِه الذي كتبتْه الملائكةُ الحفظةُ أيامَ حياتِه من وراءِ ظهرِه، وهو الكافرُ أو المنافقُ، فتغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه. ومنهم من لا يحاسبه الله على يد أحد من الملائكة، ولا غيرهم ستراً على ذلك المحاسب، وإنما يحاسبه المولى بينه وبينه، ويَعْرِضُ عملَه عليه بأنْ يقولَ له: هذه أفعالُك التي فعلْتها في دار الدنيا وسترتها عليك، واليوم أغفرها، وهو من يُعطى في ذلك اليوم كتابَ عملِه من أمامه، وهو المؤمن المطيع. وكتبُ الأعمالِ جُعلتْ بعد موت صاحبها في خزانة تحت العرش، فإذا كانوا في الموقف بعث اللهُ ريحاً فتطيرها، فكل صحيفة تلتصق بعنق صاحبها لا تتجاوزه، ثم تأخذها الملائكة من الأعناق فيعطونها إليهم في أيديهم فيأخذونها. وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمرُ بنُ الخطابِ وله شعاع كشعاع الشمس، وأما أبو بكر فهو رئيس السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فهم لم يأخذوا صحائف، وبعد عمر أبو سلمة عبد الله بن عبد

الأسد المخزومي، أول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد. ثم إذا أخذ العبدُ كتابَه وَجَدَ حروفَه نيرةً أو مظلمةً على حسْب الأعمالِ الحسنةِ أو القبيحةِ. وأول خط في الصحائف: {**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**}، فإذا قرأه ابيضَّ وجهُهُ إنْ كان مؤمناً، واسودَّ إنْ كان كافراً، وذلك قوله تعالى: {**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**}. وقد ورد في الحديث: ((**إنَّ أولَ من يُحاسبُ اللهُ تعالى اللوحَ المحفوظَ**)) بحيث يُرَكِّبُ فيه إدراكاً وعقلاً ونطقاً، فيُدعى به، فترتعد فرائصُه: فيقول له: هل بلغت ما فيك لإسرافيل؟ فيقول: بلغت. فيُدعى بإسرافيل فترتعد فرائصه خوفاً من الله فيقول له: ما صنعت فيما روى إليك اللوح؟ فيقول: بلغته لجبريل. فيدعى بجبريل فترتعد فرائصه فيقول له: ما صنعت فيما رواه إليك إسرافيل؟ فيقول: بلغته إلى الرسل. فيدعى بهم فيقول لهم: ما صنعتم فيما رواه إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغناه إلى الناس، فيُسألون عن عمرهم فيم أفنوه، وعن شبابهم فيم أبلوه، وعن أموالهم من أين اكتسبوها وفيم أنفقوها، وعن علومهم ماذا عملوا بها. وذلك قوله تعالى: **{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ. فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ. فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**، ثم ينصبُ اللهُ "**الميزانَ**"، وتشخصُ الأبصارُ إلى الكتب أتقعُ في اليمين أو في الشمال، ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات (**ويحكم بينهم بالعدل**) وأول ما يقضى في الموقف في "**الصلاة**"، ثم بعدها "**الدعاوى**" من قتل نفسا بغير نفس. ثم يساقون إلى "**الصراط**"، وهو جسر ممدود على متن النار بين الموقف والجنة، فإن النار بينهما، أرق من الشعرة وأحدّ من السيف، فهو مثل الموسى، فالناجون يجوزونه كلمحة البصر، ثم كالبرق، ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كالخيل، ثم

يجوزونه، سعياً، ثم مشياً، ثم حبواً، ثم زحفاً، فهم يتفاوتون كالهالكين، فمنهم من يُكَبُّ بأول قدم، وهو الذي يكون آخر الخارجين من النار، ومنهم من يكب عند آخر قدم، فيكون أول الخارجين منها، وتفاوت المرور بحسْب التفاوت في الأعمال الصالحة والإعراض عن حرمات الله تعالى إذا خطرت على القلوب. وأول من يأتي إلى النار "**قابيل**" الذي قتل أخاه "**هابيل**" بغير حق، لأنه أول من أظهر هذه الخصلة، وهذا أول من يدخلها من الإنس، و"إبليس" هو أول من يدخلها من الجن. (**فمن كان**) أي: فالذي وجد (**من الملائكة والجن والإنس فإنهم يتلاشون**)، أي: يموتون، لكن لا يموت أحدٌ من الملائكة قبل النفخة الأولى، بل بها إلا حملة العرش والملائكة الأربعة، فإنهم يموتون بعدها ويحيون قبل النفخة الثانية، وآخر من يموت ملك الموت، كذا قال الشرقاوي. وقيل: إن حملة العرش لا يموتون لأنهم خلقوا للبقاء. (**فمن كان فاسقاً**) أي: خارجاً عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة، ولم تَغْلِبْ طاعاتُه على معاصيهِ (**لم يبق في النار بعد الحساب**) أي: بعد فراغ مقدار ذنبه، لأن ذلك لا يخرجه عن الإيمان إلا إذا اعتقد حلَّ المعصيةِ سواءً كانت كبيرةً أم صغيرةً، لأنَّ الإيمانَ عند الأشاعرة ومحققي الماتريدية تصديق بالقلب فقط، وأما الإقرار من القادر فهو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية التي من جملتها وجوب اعتقاد أنهم غيرُ مخلدين في النار، وإذا كان الإيمان هو التصديق لزم أن لا يخرج العبد عن الاتصاف به إلا بما ينافيه من "**الكفر**"، وهو عدم التصديق بما علم ضرورة مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به، أو الامتناع من شرطه وهو النطق بالشهادتين مع القدرة. وكما أنَّ العصاةَ من المؤمنين لا خلود لهم في النار، كذلك "**الشفاعة**" لا تصل للكفار، قال تعالى: **{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}**.

وللرسلِ شفاعاتٌ غيرُ محصورةٍ أعظمُها الشفاعةُ التي ردها الرسل، وهي الشفاعة لإنقاذ الخلق من خوف شديد ومن فزع. ولُقِّبتْ هذه الشفاعة بالعظمى لكونها تعمّ الخلق أجمع، وبالمقام المحمود أيضاً لكونه يحمده صلى الله عليه وسلم فيها الأولون والآخرون. ثم الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم كالتي قبلها. ثم الشفاعة فيمن استحقوا دخول النار فلم يدخلوها. ثم الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة ثم الشفاعة في قوم من الصلحاء، ليتجاوز الله عنهم في تقصيرهم في الطاعات. ثم الشفاعة في اخراج من أدخل النار من الموحدين، وهذه لا تختص به صلى الله عليه وسلم بل يشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون. ثم الشفاعة في تخفيف العذاب لمن استحق الخلود في النار في بعض أوقات كأبي طالب. ثم الشفاعة في أطفال المشركين ليدخلوا الجنة. ثم شفاعته صلى الله عليه وسلم: لمن مات بالمدينة. ولمن صبر على لأوائها. ولمن زاره صلى الله عليه وسلم بعد موته. ولمن أجاب المؤذن ودعا له صلى الله عليه وسلم بالوسيلة. ولمن صلى عليه ليلة الجمعة ويومها. ولمن حفظ أربعين حديثاً في أمر الدين وعمل بها. ولمن صام شعبان لحبه صلى الله عليه وسلم صيامه. ولمن مدح آل البيت وأثنى عليهم.

(**وأما المؤمنون**) أي: الذين ماتوا على دين الإسلام وإنْ تقدم منهم كفرٌ (**ففي الجنة خالدون**) ولا يصح أن يدخلوا الجنة ثم يدخلوا النار، لأن من يدخل الجنة لا يخرج منها، قال الله تعالى: **{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}**، فالدخول في الجنة إما بدون دخول النار بالمرة أو بعد دخول النار بقدر الذنب.

(**وأما الكافرون**) من الإنس والجن، أي: الذين ماتوا على الكفر وإن عاشوا طول عمرهم على الإيمان (**ففي النار خالدون**) فلا يزالون فيها معذبين إما بالحيات أو بالعقارب أو بالضرب أو بغير ذلك.

والحاصل أن الناس على قسمين: "**مؤمنٍ**" و"**كافرٍ**": "**فالكافر**" مخلد في النار. و"**المؤمن**" على قسمين: "**طائع**" و"**عاص**": "**فالطائع**" في الجنة. و"**العاصي**" على قسمين: "**تائب**" و"**غير تائب**": "**فالتائب**" في الجنة. و"**غير التائب**" في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بفضله وكرمه، وذلك ببركة الإيمان والطاعة أو بشفاعة بعض الأخيار، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه صغيراً كان أو كبيراً، ثم آخر أمره الجنة، فلا يخلد في النار.

(**ولا تفنى الجنة**)، وهي سبعة: فردوس ثم عدن، ثم خلد، ثم نعيم، ثم مأوى، ثم دار السلام، ثم دار الجلال، وكلها متصلة بمقام صاحب الوسيلة صلى الله عليه وسلم ليتنعم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وسلم، لأنه صلى الله عليه وسلم يظهر لهم منها، فهي مشرفة على أهل الجنة كما أن الشمس مشرقة على أهل الدنيا. (**والنار**) وطبقاتها سبع أعلاها: جهنم، وهي لعصاة المؤمنين، ثم لظى لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين، وهم فرقة من اليهود، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم لعبدة الأصنام، ثم الهاوية للمنافقين. (**ولا أهلهما**) من الحور العين والولدان وخزنة الجنة، وملائكة العذاب، والعقارب، والحيات. وقال الشربيني نقلاً عن النسفي: سبعةٌ لا تفنى: العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والجنة، والنار بأهلهما، والأرواح، اهـ. **واختُلف في تفسير قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}**، فإن كان معنى كونِ الشيء "**هالكاً**" كونُه قابلاً للهلك في ذاته، لأنَّ كل ما عاده

تعالى ممكن الوجود قابل العدم، فهذه السبعة محمولة على هذا المعنى، وإن كان معنى كونِهِ "**هالكاً**" كونه خارجاً عن كونه منتفعاً به بالإماتة أو تفريق الأجزاء، فهذه مستثناة من الهلاك. (**ومن شك في شيء من هذه الأشياء**) المذكورة (**فقد كفر**).

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى؟**).

(**فالجواب**) أنْ تقولَ: (**إنَّ اللهَ**) تعالى (**خلق الخلائق وأمر**) بالطاعات (**ونهى**) عن السيئات (**وخلق اللوح**) وهو لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدرّ والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وأصله في حِجْرِ ملك، وهو في الهواء فوق السماء. وعن ابن عباس أنه قال: "**إنَّ في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل، وصدّق بوعيده واتبع رسله أدخله الجنة**". (**والقلم**)، وهو قلم من نور، طوله كما بين السماء والأرض. **وعن ابن عباس أنه قال**: "**أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، قال له: ما أكتب، قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو شر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**". وروى مجاهد الحديث: "**أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال: اكتب المقدر، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري في الناس على أمر قد فرغ منه**"، وذلك هو المراد بقوله رحمه الله تعالى: (**وأمرهما أن يكتبا أعمال العباد**) قال تعالى: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** أي: إنا كل شيء من الأشياء المخلوقة صغيرِها وكبيرِها خلقناه بقدر وقضاءٍ

وحكمٍ وقياسٍ مضبوطٍ، وقسمةٍ محدودةٍ، وقوةٍ بالغةٍ، وتدبيرٍ مُحْكَمٍ في وقت معلوم ومكان محدود، مكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه، وقال تعالى: **{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}** أي: وكل صغير وكبير من الخلق وأعمالهم وآجالهم مكتوب في اللوح المحفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((**كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام**))، وقال صلى الله عليه وسلم: ((**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره**)).

(**فالطاعة**) وهي: ما يثاب به (**بقضاء الله تعالى وقدره في الأزل**)، أي: القِدَمِ (**وإرادتهِ وأمرهِ ورضاهُ**) ومحبتهِ وتوفيقهِ وتخليقهِ. قال بعضهم: "**القضاء**": إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه. و"**القدر**": إيجاده إياها على ما يطابق العلم. "**فالقضاء**" بمنزلة الأساس، و"**القدر**" بمنزلة البناء، والقضاء بمنزلة آلة الكيل، والقدر بمنزلة المكيل، والقضاء بمنزلة ما أعد اللبس، والقدر بمنزلة اللبس، والقضاء بمنزلة تصوير النقاش الصورة في ذهنه، والقدر بمنزلة رسمها. (**والعصيان**) وهو ما يعاقب عليه (**بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته**) أي: مشيئته (**في الأزل**) أي: القدم وتخليقه وخذلانه (وليس بأمره ولا برضاه) ولا بمحبته ولا بتوفيقه.

واعلم أنَّ "**مدلولَ الأمر**" غيرُ "**مدلول الإرادة**"، فقد ينفك "**الأمر**" عن "**الإرادة**"، كما إذا قتل ابنُ الحاكمِ رجلاً عمداً، فإنَّ الحاكمَ يأمره بقتل ابنه، ولا يكون مريداً له، ومعنى "**الرضا**" قبول الشيء والإثابة عليه أو ترك

التعذيب عليه. وأما "**المباحات**" فليست بأمره تعالى، فكل ما علم الله تعالى أنه يوجد أراد وجوده سواء أمر به أو لم يأمر.

ثم اعلم أن الكافر مأمور بالعمل كما هو مأمور بالإيمان، وهذا عند الشافعية ، خلافاً للحنفي حيث قال: إن الكافر لا يكون مأموراً بالعمل بل هو مأمور بالإيمان ودليله قوله تعالى: **{يا أيها الناس اتقوا}** بناءً على أنَّ تفسير هذه الآية عنده: يا أيها المؤمنون أطيعوا، ويا أيها الكافرون آمنوا، ويا أيها المنافقون أخلِصوا، فإن الناس على ثلاثة أصناف: "**مؤمن مخلص في إيمانه**": وهو الذي يقرّ باللسان ويصدق بالجنان ويعمل بالأركان. و"**كافر جاحد في كفره**": وهو الذي لم يقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه. و"**منافق مداهن في نفاقه**": وهو الذي أقرّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه وداهن مع المؤمنون (**وهم يثابون**) على الطاعة (**ويعاقبون**) على العصيان (**وكل ذلك**) أي: الثواب والعقاب (**بوعده تعالى**) في الطاعة (**ووعيده**) في العصيان، قال تعالى: **{فَأَمَّا مَنْ طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ}** أي: قيامه بين يدي ربه **{وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}**.

(**مسألة**): (**إذا قيل قيل لك: آلإيمان**) أي: أصله (**يتجزأ**) أي: يقبل القسمة بأن يجعل أجزاء (**أم لا؟**)، قوله: آلإيمان – بمد الهمزة – إذ أصله: الإيمان – بهمزتين – فقُلبت الثانيةُ ألفاً فتمد مداً لازماً.

(**فالجواب**) أن تقول: (**الإيمان لا يتجزأ، لأنه**) أي: الإيمان (**نورٌ في القلبِ والعقلِ والروحِ من بني آدم، إذ هو**) أي: الإيمان (**هداية الله تعالى**

عليه)، أي: المؤمن **(فمن أنكر)** أي: جحد **(شيئاً منها)** أي: من كون الإيمان هداية الله تعالى **(فقد كفر)**.

(مسألة): **(إذا قيل لك: ما المراد بالإيمان؟)** الذي هو نور وهداية من الله تعالى.

(فالجواب) أن تقول: **("الإيمان" عبارة عن "التوحيد")** وحدّ **"التوحيد"** عند **"علماء الكلام"**: إفراد المعبود بالعبادة مَعَ اعتقادِ وَحْدَتِهِ ذاتاً وصفات وأفعالاً، ويقال أيضاً: هو اعتقاد ما يجب لله ورسله، وما يجوز وما يستحيل. وأما عند **"أهل التصوف"**: فهو أن لا يُرى إلا اللهُ تعالى، بمعنى أنَّ كلَّ فعلٍ وحركةٍ وسكونٍ واقع ذلك في الكون، فمن الله تعالى وحده لا شريك له، لا يرون لغيره تعالى فعلاً أصلاً. وقد يُراد بالإيمانِ علامتُه كقوله صلى الله عليه وسلم لقوم من العرب قدموا عليه صلى الله عليه وسلم: ((**أتدرون ما الإيمان بالله تعالى وحده؟**)) فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وسلم: ((**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**)).

(مسألة): **(إذا قيل لك: الصلاةُ)** أي: الخمس **(والصومُ)** أي: في رمضان **(والزكاةُ)** أي: للأموال والأبدان **(وحبُ الملائكةِ وحبُ الكتب)** أي: السماوية التي أنزلها الله على بعض الرسل **(وحب الرسل)** والأنبياء عليهم الصلاة والسلام **(وحبُ القَدَرِ خيرِه وشرِه من اللهِ تعالى، وغير ذلك**

من الأمر والنهي واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم أهو) أي: المذكور **(من الإيمان)** أي: من حقيقته وأصله **(أم لا؟)**.

(فالجواب) أن تقول: **(لا)** أي: إن ذلك ليس من حقيقة الإيمان وأصله، بل هو فرع الإيمان **(لأن الإيمان عبارة عن التوحيد)** كما تقدم **(وما سوى ذلك)** أي: المذكور **(شرط من شرائط الإيمان)** وشعبة من شعب الإيمان، لأنَّ من شرطِ صحةِ الإيمان حبُّ اللهِ، وملائكته، وأنبيائه، وأوليائه، وخوف عذاب الله، ورجاء رحمة الله، وتعظيم أمر الله ونهيه، وبغض أعداء الله وهم الكفار. وأما الصلاة والصوم والزكاة والحج فهي **"شرطُ كمالٍ"** على المختار عند أهل السنة، فمن تركها واعتقد وجوبها عليه أو ترك واحداً منها كذلك فهو مؤمن كامل في جريان أحكام المؤمنين في الدنيا والآخرة، لأن مرجعه إلى الجنة وإن دخل النار إن لم ينل شفاعة من أحد الشافعين أو غفراناً من الله تعالى، وهو مؤمن ناقص من جهة ضعف الإيمان لتركه لبعض المأمورات، وإن تركها معانداً للشرع، أو شاكاً في وجوبها فهو كافر إجماعاً وكذا إن ترك واحداً منها كذلك، لأنها معلومة من أدلة الدين بالضرورة.

واعلم أن أمور الدين أربعة: **أولها**: صحة العقد : بأن تعتقد اعتقاداً صحيحاً خالياً عن الترديد والشُبَهِ من ضلالات أهل الأهواء. **وثانيها**: صدق القصد: بأن تكون صادقاً في قصدك لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**إنما الأعمال بالنيات**)). **وثالثها**: الوفاء بالعهد: فإذا عاهدت عهداً تفي به لئلا يكون فيك خصلة من النفاق لأن من خصال المنافق إذا عاهد غدر. **ورابعها**: اجتناب الحد، بأن تجتنب المعاصيَ كلَّها.

(**تنبيه**): فلو قيل لك: "**الكفر**" يكون "**بقضاء**" الله تعالى و"**قدره**"، و"**الرضا**" بالقضاء والقدر واجب، والرضا بالكفر كفر، فكيف اجتماع الواجب والكفر. قلت: "**الكفر**" مقضيٌ ومقدور لا "**قضاء وقدر**"، والرضا إنما يجب بالقضاء والقدر دون المقضي والمقدور. وأيضاً الشيء المخالف للشرع يكرهه العبد من حيث ذاته، وأما من حيث كونه مقضياً فيرضى به بمعنى لا يعترض على مراد الله تعالى فيه، ولا يكلف العبد بمحبته ولو من حيث أنه مقضي، وإنما هو مكلف بترك الاعتراض على الله واعتقاد الحكمة على ذلك والعدل على الله.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: الإيمان بصفة الطهارة أم لا؟**)

(**فالجواب**) أنْ نقولَ: (**الإيمانُ**) متلبسٌ (**بصفة الطهارة**) فيصح به جميعُ الأعمالِ (**والكفرُ بصفة الحَدَثِ**) أو بصفة النجس كما قال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}** أي: في اعتقادهم دون أبدانهم (**وينتقض**) أي: يبطل (**به**) أي: الكفر (**جميع الجوارح**) أي: الأعمال التي يعملها بأعضائه، لكنْ لو أسلم الكافرُ أُثيبَ على ما فعله من القرب التي لا تحتاج إلى نية كصدقة، وصلة، وعتق، ونحكم بالصحة من حينئذ، كما نقله الونائي عن النووي، ودليل ذلك قوله تعالى: **{وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** أي: ومن يرتد عن الإيمان فقد بطل عملُه الصالحُ قبل ذلك، فلا يعتد به ولا يثاب عليه، ولو عاد إلى الإسلام، وهو في الآخرة من الخاسرين إذا مات على الكفر، والمعنى: ومن يكفر بكلمة التوحيد، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، فقد فسد عمله الصالح. أما من

أسلم قبل الموت فإن ثوابه يفسد دون عمله فلا يجب عليه إعادة حج قد فعله ولا صلاة قد صلاها قبل الردة.

(**مسألة**): (**إذا قيل لك: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟**)

(**فالجواب**) أن تقول: (**الإيمان هداية من الله تعالى، والتصديق بالقلب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى، والإقرار**) بالشهادتين (**باللسان. "فالهداية" صنع الرب، وهو قديم. و"التصديق" و"الإقرار"**) كل منهما (**فعل العبد وهو محدَث**) بفتح الدال، أي: مؤجَدٌ بعد العدم (**وكل ما جاء من القديم يكون قديماً**) غير مخلوق (**وكل ما جاء من المُحْدَثِ يكون محدثاً**) وقال الشيخ أبو معين النسفي: لا يقال إنَّ الإيمانَ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ، بل يقال: إنَّ الإيمانَ من العبدِ الإقرارُ باللسانِ والتصديقُ بالقلبِ ومن الله تعالى الهداية والتوفيق. وقال بعضُهم: لا يجوز أن يكون الإيمان اسماً للهداية والتوفيق، وإن كان لا يوجد إلا بهما لأن العبد مأمور به والأمر إنما يكون فيما هو داخل تحت قدرة العبد، وما كان كذلك يكون مخلوقاً؟ وقال الباجوري: الصوابُ أنَّ الإيمانَ مخلوقٌ لأنه إما تصديقٌ بالجنانِ أو هو مع الإقرار باللسان، وكل منهما مخلوقٌ، وما يقال من إنه قديم باعتبار الهداية خروجٌ عن حقيقة الإيمان على أن الهداية حادثة، نعم إن نظرنا إلى أن الإيمان بالقضاء الأزلي صح أن يقال إنه قديم، اهـ. وقال محمد الخليلي نقلاً عن الشمس الرملي و"الإيمان" عند جمهور المحققين: تصديق القلب بما علم ضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به من عند الله تعالى، وأما الإقرار باللسان فإنما هو شرط لإجراء الأحكام في الدنيا. وقيل: إنه الإقرار والتصديق معاً. وقيل: إنه الإقرار

والأعمال. وعلى كلِّ قولٍ منها هو مخلوقٌ، لأنه فعل العبد المخلوق لقوله تعالى: **{والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}**. وأما قول أبي الليث السمرقندي في جواب: "**إنه مخلوق أو: لا**": الإيمانُ إقرارٌ وهدايةٌ، فالإقرار صنع العبد، وهو مخلوق، والهداية صنع الرب، وهو غير مخلوق، ففي ذلك تسمح، لأنَّ هدايةَ اللهِ تعالى للعبدِ سببُ الإيمانِ لا جزءٌ منه، والمسؤول عنه نفس الإيمان لا هو وسببه معاً، والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.